ضمن كتاب "التكافل.. تاريخ وإنجازات" للزميل عصام الفليج

لجان التكافل.. قلب المقاومة النابض ونموذج الإيثار والتفاني

برزت روح التكافل والتعاون بصورها الرائعة اثناء العدوان الصدامي الغاشم، واضحى الايثار رمزا واصبح الفداء والتضحية شعارا للكويتيين الذين توحدوا على قلب واحد وقضية واحدة عنوانها «عودة الكويت الحرة».

ضمن هذا الاطار، نستعيد في هذه الصفحة كتاب «التكافل.. تاريخ وانجازات» للزميل عصام عبداللطيف الفليج الامين العام المساعد في اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق احكام الشريعة الاسلامية والذي عرض فيه الدور البارز للجان التكافل في التخفيف من معاناة المواطنين والحفاظ على وحدة الصف وتثبيت الناس في ارضهم ورسم مستقبل بناء كويت الغد.

كما عرض الكتاب تشكيل حركة المقاومة الشعبية ورعاية اسر الاسرى بعد ذلك عبر صندوق التكافل لرعاية اسر الشهداء والاسرى، بالاضافة لتسيير قافلة الحرية للمطالبة بتحرير الاسرى والمرتهنين.

د.عصام عبداللطيف الفليج

صورة تخلد المقاومة الكويتية في بيت الكويت للأعمال الوطنية

صور رمز الشرعية الكويتية.. نشرها المقاومون على لافتات الطرق

حركة المرابطين

لقد كان للحدث الاليم الذي حل بالكويت في 2 اغسطس 1990 وقع الصدمة على الشعب الكويتي بأسره، وقد ذهل الناس لفترة من الوقت ما بين مصدق ومكذب، فكان لهذا الذهول اثره على انشغال الناس عن اعمالهم وضروريات بقائهم وخدمات مناطقهم، فوفق الله تبارك وتعالى مجموعة من اهل الكويت وهم د.خالد المذكور ود.عجيل النشمي ود.جاسم مهلهل الياسين واللواء خالد بودي وعيسى ماجد الشاهين الى المبادرة والالتفاف في ظهر ذلك اليوم للتباحث في كيفية مواجهة هذا الحدث، فكان الاتفاق على تشكيل مجموعة من مجاميع المقاومة تحت اسم «حركة المرابطين».

لجان التكافل الاجتماعي

تعتبر لجان التكافل الاجتماعي الجناح المدني لحركة المرابطين، وتنقسم اللجان إلى سبعة أقسام، ولكل قسم أنشطته وأعماله خلال تلك الفترة الحرجة من تاريخ المجتمع الكويتي، وللقارئ أن يتأمل مدى جسامة العمل وخطورته لأن التعامل مع هذا النوع من البشر (المحتل) غريب وصعب جدا، فهو لا يعرف للإنسانية طريقا ولا للرحمة معنى، وكانت كل عملية وكل خطوة تثير أعصابه واشمئزازه لأنه لا يعرف إلا الحقد والدم، وكان كل عمل بمنزلة مقاومة للاحتلال، نعم قد لا تكون مقاومة مسلحة أو عسكرية، ولكنها مقاومة ضد الاحتلال ومقاومة من أجل البقاء والحفاظ على الأرض.

وقد تعرض العديد من الشباب للاعتقال بسبب عملهم في الجمعيات التعاونية وتوزيع الأموال وخلافه، وأصابهم التعذيب الجسدي والنفسي، وهناك من اسر وهناك من استشهد.

وفيما يلي أبرز وأهم أعمال وإنجازات لجان التكافل الاجتماعي التي عرضها الفليج في كتابه:

الجمعيات التعاونية

كما عرض الكتاب الدور الذي لعبته الجمعيات التعاونية في مساندة المقاومة الكويتية بمعناها الواسع حيث قدمت للأهالي والمقيمين العديد من الخدمات ووفرت الكثير من السلع على الرغم من قسوة وسيطرة المحتل الغاشم، ونظرا لمغادرة اغلب العاملين في كثير من الجمعيات التعاونية، قامت لجان التكافل بتوجيه الدعوة لشباب المناطق السكنية للتطوع لإدارة شؤون الجمعيات بالتعاون مع مجالس إداراتها الأصلية وبتأسيس مجالس إدارات جديدة بدلا عن الأعضاء المسافرين، وقد اثبت الشباب الكويتي اصالته وكفاءته من خلال الأعمال المتنوعة التي قام بها لإدارة الجمعيات والأسواق المركزية وفروعها كالخضراوات واللحوم والمخابز والمطاعم وخدمات السيارات والتموين.. ، كما كان للتوزيع المنظم والسريع لمواد التموين الأثر الكبير في تأمين السلع الضرورية للشعب، مما ساهم في صموده ورباطه في ارض الكويت امام الاحتلال الغاشم الذي حاول مرارا التضييق والتعسف لمنع حصول الناس على أقواتهم، املا في ارغامهم على ترك البلاد.

وجاء الاحتلال ليعلن للجمعيات التعاونية أنه سيقوم ابتداء من تاريخ 1991/1/2 بمنع توزيع التموين إلا بالبطاقة العراقية، وذلك ضغطا على الشعب الكويتي لإصدار الجنسيات العراقية، فقامت الجمعيات التعاونية بالتعاون مع لجان التكافل بتوزيع التموين بشكل سريع على معظم البيوت الكويتية بحيث تم إخلاء جميع مخازن التموين لدى الجمعيات ومعظم التجار قبل الموعد المحدد من قبل المحتل لوضع يده عليها.

وقد اهتمت الجمعيات بتوفير وتنظيم عملية توزيع اسطوانات الغاز للمرابطين، كما سعت لتوفير اسطوانات مكافحة الحرائق (مطفأة حريق) في كل منطقة تقريبا.

كما حرصت الجمعيات على تزويد الأهالي - أصحاب الظروف الخاصة - بما يحتاجونه من مواد أولية وغذائية واستهلاكية مثل كبار السن والمرضى والنساء وأصحاب الحاجة، وقد تم تمويل معظم الأسر المحتاجة وذوي الظروف الخاصة بما يكفيهم من حاجيات لمدد تقارب الأربعة شهور.

العصيان المدني

وأبرز الكتاب دعوة لجان التكافل المواطنين والمقيمين الى عدم التوجه الى اعمالهم وممارسة العصيان المدني للاحتلال العراقي، ويستثنى من ذلك الأعمال الإنسانية كالأطباء ومعاونيهم والمطافئ والإسعاف والكهرباء والماء والنفط ومشتقاته.

فعمدت الإدارة البعثية إلى التفنن في إيذاء المواطن الكويتي نفسيا والتضييق عليه لعله يرضخ لمطالبهم ويتوقف عن العصيان المدني وتمثل ذلك بالآتي:

أ- إلغاء التعامل بالأوراق النقدية الكويتية ومحاسبة كل من يحملها وليس التعامل بها فحسب.. بل ومصادرتها، وإلزام التعامل بالدينار العراقي بالقيمة نفسها للدينار الكويتي (في ذلك الوقت كان الدينار الكويتي يساوي عشرة دنانير عراقية، اي الدينار العراقي يساوي 100 فلس فقط على أحسن تقدير).

ب- إجبار الناس على تغيير لوحات أرقام السيارات الكويتية، حيث لن يحصل على الوقود (البنزين) إلا السيارة التي تحمل لوحة عراقية، كما ستتعرض السيارة للمصادرة.

ج- مطالبة المواطن الكويتي بتغيير جنسيته وأوراقه الرسمية والعملية إلى أخرى عراقية.

بالإضافة الى العديد من وسائل الضغوط الأخرى التي يمارسها النظام البعثي، وكل ذلك من أجل الحصول على تأييد ولو شكليا من المرابطين للنظام العراقي بالاستسلام لتلك الضغوط أو الخروج من ارض الكويت.

وكان دور لجان التكافل لمواجهة تلك الضغوط النفسية متمثلا بالقول والفعل في حث الناس على عدم الامتثال لتلك القرارات وعدم الانزعاج منها والمصابرة على العصيان المدني.

إبراز دور الديوانية

عملت لجان التكافل على المحافظة على استمرارية الديوانيات الكويتية، والتي تمثل منتدى لالتقاء الناس، وبحث أمورهم المختلفة، والعمل على إيجاد حلول للمشاكل التي يسببها المحتل والصعوبات التي كان يفرضها. وكان لاصحاب تلك الديوانيات مساهمة طيبة في أداء الديوانيات لدورها إبان الاحتلال، وكان التجمع في الديوانيات والأحياء كسرا لطوق العزلة النفسية والاجتماعية التي كان يفرضها العدو.

تحرير الأحداث

لقد لعبت هيئة تحرير الاحداث اليومية (Daily Events Editorial) - والتي عرفت بـ (DEED) اختصارا - في توثيق كل الاحداث والقضايا المهمة يوميا على أيدي نخبة متخصصة من الكويتيين وباستخدام أجهزة الحاسب الآلي، وقد أرسلت الهيئة تقارير مفصلة عن كثير من الأحداث والتطورات داخل أرض الكويت للسلطة الشرعية في الطائف، بالإضافة إلى تزويد المعلومات التي كان لها دور جيد في وضع صناع القرار في المجتمع الدولي على الصورة الحقيقية لما يدور في الداخل بعيدا عن أجهزة الإعلام التي لم يسمح لها بالدخول.

ومن أبرز التقارير التي أعدت وأرسلت للخارج قبل بداية الحرب الجوية.. تقرير حول «وضع المرأة في المعتقلات العراقية في الكويت».

ومن ضمن الذين أرسلت لهم التقارير الرئيس الأميركي السابق جورج بوش والرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتيران ورئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت تاتشر، وقد كان لأحد الأشرطة التي سجلتها الهيئة لاثنين من الأجانب الذين ساعدت لجان التكافل في اخفائهما والذي تم بثه مباشرة عبر جهاز الاتصال بالأقمار الصناعية أكبر الاثر في اقناع عضوين من الكونغرس الاميركي بحقيقة ما يدور في الداخل، وبالتالي تغير رأيهما لصالح الكويت في مناقشات الكونغرس.

ومن الجوانب الاخرى التي لا تنسى هي تلك المعلومات التي وفرتها الهيئة خلال الحرب الجوية للقيادة الحربية للحلفاء، وذلك بتحديد مواقع الجنود والارتال العراقية، مما سهل معها تحديد الأهداف.

إدارة المخابز الكويتية

التكافل برز واضحا بعد خروج الآلاف من العمالة الوافدة من الكويت، ولضرورة استمرار العمل خصوصا في الأماكن الحيوية والحياتية كالمخابز.. تم تدريب الشباب الكويتي للعمل في المخابز الكويتية التابعة لشركة المطاحن والمخابز الكويتية، وقد ساهم ذلك في منع المحتل من الاستيلاء عليها وذلك الى يوم 1991/1/16م، حيث استولت عليها قوات الاحتلال وحجبت 80٪ من الإنتاج عن الناس وأحدثت أزمة في الخبز منذ ذلك التاريخ.

إلا أن شباب لجان التكافل بحنكتهم استطاعوا توفير الكمية الكافية واللازمة من الخبز للمرابطين.

إدارة شؤون المساجد

لما كان كثير من الائمة والمؤذنين والملاحظين قد تركوا البلاد، قامت لجان التكافل بانتداب الشباب المتطوع لتسلم هذه المهام، كما نظمت أنشطة اجتماعية في المساجد ساعدت على تثبيت الناس على أرض الوطن قبل الجمعة الأخيرة، فكانت صلوات قيام الليل الجماعية خير معين للناس على الصبر في المحنة، وكان الصيام والفطور الجماعي في المسجد خير مؤنس لوحشة الناس في هذه الظروف.

كما أدى المسجد دورا اعلاميا في توجيه الارشادات وتبليغ الناس بالانباء والاخبار، اضافة الى محاربة الاشاعات بنقل الاخبار الموثوقة أولا بأول، ونستطيع أن نقول ان المسجد حل محل كثير من أجهزة الدولة منذ بداية الاحتلال مثل وزارات الأوقاف والإعلام والتجارة (التموين) والصحة (الأطباء والأدوية) والشؤون (المساعدات).. الخ.

ولعل أبرز الأسباب التي جعلت للمسجد تلك الأهمية هو لجوء الناس اليه كملاذ إيماني طلبا للاستقرار النفسي لهول الحدث وقسوته، فكانت تلك التجمعات فرصة مواتية لقيام المسجد بعدة مهام.

كما ان الاندفاعية الكبيرة الى المساجد جعلت جنود الاحتلال يضعون ضمن مهامهم قبل الهروب والانحدار اعتقال أكبر عدد ممكن من الشباب من المساجد بعد صلاة الجمعة الأخيرة قبل التحرير.

إدارة شؤون النظافة

كما نظمت لجنة التكافل عملية النظافة في مختلف مناطق الكويت حيث تم تسلم سيارات البلدية بعد مغادرة العاملين فيها وتسليمها للشباب الكويتي المتطوع في المناطق السكنية، وقام الشباب بتنظيف المناطق من القمامة والفضلات بشكل منتظم وجيد حتى استولت سلطات الاحتلال على سيارات البلدية، فقامت اللجان بتخصيص ساحات في بعض المناطق السكنية، ليقوم الأهالي بإلقاء قماماتهم فيها، وتقوم اللجان بتنظيفها بشكل منتظم بواسطة الجرافات.

وعملية الاستيلاء على سيارات البلدية كانت بطريقة طريفة واستفزازية في الوقت نفسه، فقد أرسل النظام العراقي سائقين وعمال نظافة الى مقر البلدية في أغلب مناطق الكويت، وتسلموا السيارات بقرار رسمي، وقاموا بالتنظيف يومين فقط ثم اختفى العمال وسيارات النظافة معا!

واستطاع بعض الشباب المحافظة على بعض السيارات إما بإخفائها أو بتعطيلها حتى لا يصادروها، وليتسنى للشباب استئناف عملية التنظيف بسيارات أقل وجهد مضاعف، فضلا عن طريقة التجميع في الساحات.

وللحق نقول ان الشباب الذين عملوا في النظافة كانوا مجاهدين حقا لما في هذا العمل من صبر وجلد على الروائح الكريهة والمناظر المؤذية، فضلا عن المخاطر التي قد تصيبهم نتيجة إلقاء بعض الأسلحة والذخائر الحية في القمامة، وبضغط آلة التجميع في سيارة البلدية قد تنفجر وتخرج منها شظايا!

الأمن والحراسة

كانت المناطق السكنية تفتقر للأمن بسبب السرقات المعتادة للمنازل التي كان يمارسها جنود الاحتلال، ولهذا نظمت لجان التكافل في معظم المناطق السكنية دوريات أمن بدأت في شهر أغسطس 1990 ثم بعد التضييق من قبل المحتل قامت اللجان بطرح فكرة ديوانيات الحراسة في كل حي سكني، ونجحت الفكرة الى حد بعيد في إعطاء نوع من الأمن للأحياء السكنية، والحد نسبيا من السرقات للمنازل التي غادرها أهلها.

كما كان القائمون على الأمن يزودون الأهالي بالأخبار والمعلومات التي تحصل والمتوقع حصولها أولا بأول كعمليات التفتيش المفاجئة للمناطق، حيث يخبر الجميع لإخفاء كل ما يثير الريبة في نفوس الجنود لشكهم في كل شيء، وتوفير الأطعمة.. لهم!

اللجنة الطبية

حرصت هذه اللجنة على تزويد الأهالي بما يحتاجونه من لوازم الإسعافات الأولية والعناية الطبية الممكنة وذلك عن طريق تخزين الأدوية في المنازل خاصة في الأيام الأخيرة من فترة الاحتلال، كما سعت لحصر الأطباء في المناطق والقطع والأحياء للطوارئ.

إصدار نشرة "المرابطون"

وهي النشرة التي تم من خلالها توجيه الناس للصبر في المحنة والثبات في الوطن ومقاومة الاحتلال وذلك خلال الفترة من 10 أغسطس الى 15 سبتمبر 1990م، وكانت تصدر وتعلق في المساجد، وقد شددت السلطات العراقية من ملاحقتها لهذه النشرة ومنع تعليقها في المساجد، فقامت لجان التكافل بإرسالها للخارج حيث استمرت بالصدور بشكل منتظم في لندن على صورة «جريدة المرابطون».

إيواء الأجانب وإخفاؤهم

نظرا لقيام سلطات الاحتلال بالبحث عن الأجانب لاعتقالهم واستخدامهم كرهائن، قامت لجان التكافل، قدر المستطاع - بإخفاء الأجانب وإيوائهم بعيدا عن عيون المحتلين وذلك حتى يتيسر خروجهم من الكويت أو حفظهم حتى التحرير.

وقد قام شباب التكافل بتسجيل نداءات بأسماء وأصوات الأجانب على أشرطة كاسيت، وأرسلت الى رئيس الولايات المتحدة الأميركية عندما زار المملكة العربية السعودية.

إدارة جمعية الهلال الأحمر الكويتي

كما قامت لجان التكافل بالتنسيق مع القائمين على جمعية الهلال الأحمر الكويتي بتسلم وتشغيل جميع المرافق ومعدات الجمعية، وتم تشكيل مجلس إدارة جديد برئاسة د.علي الزميع، وعضوية د.عبدالرحمن السميط، د.ابراهيم بهبهاني، د.عبدالرحمن المحيلان، عبدالقادر العجيل، عبدالكريم جعفر، د.يوسف النصف، وأحمد الفلاح.

وتم تسلم مبنى جمعية الهلال الأحمر الكويتي الرئيسي بالشويخ في يوم 1990/8/11 وبعد ثلاثة أيام تم الانتقال الى مبنى الهلال بالقرب من مستشفى مبارك، وذلك بعد اجتماع مجلس الإدارة واقرار ذلك لخطورة موقع المبنى الرئيسي لقربه من المنشآت العسكرية.

وقد شمل نشاط جمعية الهلال الأحمر خلال فترة الغزو ما يلي:

- المساعدة في نقل المرضى والجرحى.
- تموين المستشفيات.
- تموين المرافق الأخرى التي تتطلب من موظفيها العمل على نظام الساعات (الكهرباء - النفط - الاطفاء.. الخ).
- القيام على شؤون دور الرعاية الاجتماعية من العجزة والمعاقين والأيتام.
- العناية بالجثث وتولي دفنها.
- تنظيم دورات اسعافية وتمريضية.
- نقل الأدوية من وإلى المستشفيات.
- مساعدة المحتاجين من المرابطين ماليا وتزويدهم بالتموين الغذائي، علاوة على أعمال أخرى متفرقة.

المستشفيات ابرزت دور لجان التكافل

شباب الكويت كان لهم دور بارز في تدعيم العمل التكافلي